**محاضرات في مقياس علم اللهجات العربية، السنة الأولى ماستر، المجموعة الأولى،لسانيات عربية:**

**المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم اللهجات، المفهوم والنشأة.**

**اللهجة**: هي لغة الإنسان التي جُبل عليها واعتادها ونشأ عليها، وقد أُطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها.

واللهجة طريقة معينة في الاستعمال اللغوي، توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.

ولهج بمعنى أُولع بالأمر أو الشيء؛ أي أُعجب به ومال إليه.

**العلم**: "مجموعة منسجمة من المعارف المتعلِّقة ببعض زمر الظواهر أو الأشياء، جرى إنتاجها وفق طريقة ومسعى خاص، وهو البحث".

أما **اللغة** فيُعرِّفها ابن جني بقوله:" اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهي "نظام من الرموز المتواضع عليها والخاصة بمجال أو بنشاط ما. نحو لغة الفلاسفة، ولغة التربية، ولغة الإعلام الآلي. مجموع الحروف والكلمات والرموز المكتوبة أو الخطية أو المنطوقة أو الحركية التي تتلاحم وفق قواعد بهدف تبليغ معلومات".

ويقول بن تريدي أن "الدراسات اللسانية تُبيِّن أن للغة مستويين: بناء ظاهر: أو التمثيل الخطي للغة، بناء مستتر: المعنى. هذان المستويان مُرتبطان في شكل معقد بوساطة نظام من القواعد يُطلق عليها اسم النّحو؛ وهي قواعد تسمح بفهم الجمل لأن المعنى لا يُستخلص من الكلمات وفي تتابعها".

**علم اللهجات:** هو فرع من فروع علم اللغة العام (اللسانيات) وهو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صُور من الكلام في لغة من اللغات، أو هو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرَّع عن لغة.

يمكن للهجة أن تختلف عن اللغة التي تفرَّعت منها في:

1. **الصوت**:

كالعنعنة: وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا (قيس وتميم): إنك-عنك، أُذن-عذن....

الكشكشة: (ربيعة ومضر): يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا: رأيتُكِ-رأيتكش، عليكِ-عليكش...

قراءة رأس راس، فأس فاس وهو ما يسمّى تسهيل الهمزة

إبدال الثاء سينا: ثبت-سبت، بحوث-بحوس...

1. وقد تكون في **بنية الكلمة** ونسجها: هناك من يقول مدين مبيع، وآخر يقول مديون مبيوع...
2. وقد يكون الاختلاف من جهة **المعاني**: وثب عند حِميَرَ بمعنى جلس وعند عرب الشمال بمعنى قفز، السّدفة عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء)...

 فلكل قبيلة طريقتها الخاصة في الأداء اللغوي سواء عاشت في البادية أو في الحاضرة؛ مما أدّى إلى تعدد اللهجات العربية وخصائصها، هذا ناهيك عن ظهور الدين الإسلامي، فنشره يتطلب فتح رقع جغرافية أخرى ودخول أناس جدد في الدين الجديد، فاختلط العرب بالعجم من الفرس والروم والهنود وغيرهم، مما أدى إلى تأثر اللغة العربية باللغات الأخرى، وطرأت عليها تغييرات، فدخل فيها الدّخيل والمُعرَّب والمُولَّد، وظهرت صفات أخرى كالتفخيم والترقيق والإمالة وغير ذلك. كل هذا وغيره ساهم في ظهور ما يعرف اليوم باللهجات العربية.

 إن كل دراسة منظمة وممنهجة ووفق قوانين وقواعد مضبوطة، يمكن لنا أن نسمها بأنها علمية. فعلم اللهجات كما أومأنا إليه من قبل هو" العلم الذي يُعنى بدراسة الظواهر والعوامل في لهجة من اللهجات".

**المحاضرة الثانية: اللهجات العربية:**

 لم يهتم علماء اللغة قديما بدراسة اللهجات" ولما أخذ العلماء في كتابة اللغة وجمعها وتدوينها، نظروا إلى اللهجات على أنها شيء لا ينبغي الاهتمام به، لأن المهم هو الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم، ويمكن فهمه على أساس دراستها، وكذلك فهم سنة النبي الكريم، وهنا توافروا على الاهتمام بالفصحى ونبذ اللهجات، كما خشوا أن يؤدي جمعهم اللهجات إلى عدم جمع الكلمة الإسلامية ونقض الوحدة بين الأمة وأخذ العلماء ينظرون إلى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها إلى العامة والسوقة ورموا بعضها بالرداءة أو المذمة كما فعل "ابن فارس" في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة):(باب الردىء والمذموم من اللغات). واقتبس "السيوطي" كثيرا مما ذُكر فيه من اللهجات وقد اقتصر رواة اللغة في الأخذ عن قبائل مُعينة بحجة أنها فصيحة دون غيرها مثل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وبعض الطائيين"(عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية،ص 107، عن المزهر للسيوطي) إلا أنه أُلِّفت بعض الكتب في اللهجات تُبين بعض ألفاظها وكانت تسمّى "كتب اللغات"، ككتاب اللغات للأصمعي وكتاب اللغات لأبي زيد الأنصاري، وكتاب اللغات للفراء، وكتاب اللغات لابن دريد.(لم تصلنا)

 ومما وصلنا كتاب "اللغات في القرآن" لإسماعيل بن عمر المقرئ، وكتاب "ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل"لأبي عبيد القاسم بن سلام". كما نجد ذكرا للهجات في كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، إلى جانب المعاجم اللغوية كالجمهرة لابن دريد، والتهذيب للأزهري، ولسان العرب لابن منظور،...الخ. "وكان أصحاب هذه المؤلفات يعبرون عنها (باللغات) ولم يظهر مصطلح اللهجات واضحا إلا في العصر الحديث الذي برزت فيه دراسة اللهجات، واعتُني بها كثيرا وظهرت فيها البحوث العلمية الجادة" إذ لم يهتم رواة اللغة بجمع نصوص اللهجات وشواهدها، ليبيِّنوا الجوانب والمميزات اللغوية لتلك اللهجات والتغييرات التي طرأت عليها مع مرور الزمن وعلى صلاتها بلهجات القبائل الأخرى.

 وبعد محاولات اللغويين القدامى في مجال اللهجات، أتى دور المستشرقين في العصر الحديث أين بدأت بوادر البحث ودراسة اللهجات العربية، فكانت بوادرها متواضعة تقتصر على جمع المادة اللغوية وتحليلها، وبعد ظهور علم اللغة العام وتطوره وكذلك ظهور المخترعات الحديثة؛ كالأجهزة في ميدان البحث اللغوي (المسجلات الصوتية، أجهزة قياس الصوت،...الخ)وبعد ظهور مجهودات المستشرقين ظهرت مجهودات الباحثين العرب في دراسة اللهجات العربية، كما أسهمت الجامعات العربية بتأليف الكتب في اللهجات العربية قديمها وحديثها. هذا بالإضافة إلى دور المجامع اللغوية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد، حيث شُجعت الأبحاث والدراسات في مجال اللهجات، كما خصَّص مجمع اللغة العربية في القاهرة إحدى لجانه لدراسة اللهجات.

 فقد اهتموا بدراسة اللهجات العربية الحديثة، لأن ذلك سيساعد على فهم طبيعة اللغة والمراحل التي مرت بها وفهم تاريخها إلى غير ذلك.

**المحاضرة الثالثة والرابعة: جغرافية اللغة. جغرافية اللهجات العربية.**

 لم تُعرف كلمة لغة قديما بالمفهوم الذي نعرفه الآن، يقول إبراهيم أنيس في هذا الشأن"يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبِّرون عمّا نسميه نحن باللغة إلاَّ بكلمة اللسان، تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية، وقد يُستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها في معنى اللغة نحو 8 مرات" كقوله تعالى(هذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) الأحقاف، آية 12. وقوله تعالى(نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء.

وتُطلق كلمة لغة على اللهجة المعيَّنة.

 تُعدُّ اللغة العربية من أقدم وأعرق اللغات فقد نشأت "في أقدم موطن للأمم السامية(الحجاز ونجد وما إليها) وبالرَّغم من ذلك فإن الآثار التي وصلت إلينا منها تعدُّ من أحدث الآثار السامية(...) وأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، فالزمن بعيد وعميق، ولهذا فإننا لا نعلم شيئا عن طفولة اللغة العربية وما مرت به من أطوار في عصورها الأولى"

 إن للبيئة والمكان أثرا واضحا في السكان، فكما يظهر هذا الأثر على وجوههم وألوان معيشتهم فكذلك يظهر في أدائهم اللغوي. وعليه فدراسة المكان الذي تحيا فيه اللغة مهمة وضرورية، ودراسة اللغة العربية يقتضي منا إلقاء الضوء على شبه جزيرة العرب والقبائل العربية التي أقامت بها، هذا إذا علمنا أن الدرس اللغوي الحديث يعتمد كثيرا على الجغرافيا اللغوية، فتحديد المواقع أو الجغرافية اللغوية سيساعد على توضيح العلاقات بين اللغات وعوامل التأثر والتأثير، لقد " قرَّر الباحثون سهولة بيان الحدود الجغرافية للغات فحدود اللغة العربية واضحة المعالم، فهي تمتد في الجزيرة والشام والعراق وشمال إفريقية ويمكن معرفة نهاية حدودها بابتداء اللغات المجاورة لها من فارسية وتركية وإفريقية وغيرها"

أما عن موطن اللغة العربية الأصلي فهو شبه الجزيرة العربية المتكونة من خمسة أقسام هي: اليمن، الحجاز، تهامة، نجد، العروض.

 واللغة في ضوء ما وصل إلينا من آثار تنقسم إلى: عربية بائدة وعربية باقية؛ أما الأولى فتسمى بعربية النقوش(اللحيانية، الثمودية، الصفوية،...الخ) وسميت بالبائدة لأنها قد بادت قبل ظهور الإسلام، أما الثانية فهي العربية الباقية وهي لغة الأدب والكتابة والتأليف، ونشأت هذه اللغة في كل من نجد والحجاز ثم انتشرت بعد ذلك إلى بلدان أخرى، وأقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يُعرف بالأدب الجاهلي( شعرا ونثرا)

 بعد تغلب لهجة قريش على اللهجات الأخرى، أصبحت لغة العرب"النموذجية" التي يدونون بها أشعارهم وخطاباتهم. فمن المعروف أن القبائل العربية كثيرة ومنتشرة هنا وهناك، ومما هو معروف أيضا أن اللغة متى انتشرت في مساحة واسعة من الأرض، وتكلَّم بها طوائف مختلفة من الناس، فإنها ستنشعب إلى عدة لهجات.

 فالعربية انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والمفردات والقواعد والدلالة. واختصت كل قبيلة وكل جماعة\_ في ظروفها الطبيعية والاجتماعية\_ بلهجة من هذه اللهجات.

 وقد احتكت هذه اللهجات المختلفة بعضها ببعض بفضل التجارة وطلب الكلأ( البدو الرُّحل) وتجمعها في الحج والأسواق والحروب الأهلية وغير ذلك. مما جعل هذه اللهجات تعيش في صراع لغوي، كُتب النّصر فيه للهجة قريش، ومن أسباب ذلك:

1\_ العامل الديني: مكان مقدّس يحجّون إليه ليؤدوا مناسكهم ويزوروا أصنامهم ويقدِّموا لها القرابين،...الخ.

2\_ العامل الاقتصادي (التجاري): كانت التجارة بين أيدي القرشيين، وبفضل هذا النشاط التجاري أصبحت الثروة بيد القرشيين( رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام).

3\_ العامل السياسي: فالقوة الاقتصادية والدينية جعل منها قوة سياسية والسيادة أصبحت بيدها.

4\_ العامل اللغوي: فلهجة قريش أوسع اللهجات وأغزرها مادة، وأرقها أسلوبا وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول.

وللغة المشتركة معالم تميِّزها من أهمها:

1\_ أنها مستوى لغوي أرقى من لهجات الخطاب الشفوي، فلها قواعدها وقوانينها، كما يتخذها الناس مقياسا لحسن القول وإجادة الكلام.

2\_ هي ملك للجميع لا تُنسب إلى بيئة معينة، بل يلجأ إليها الجميع من أجل قضاء مصالحهم والتفاهم فيما بينهم.

 ومن العوامل التي تساعد على الوحدة اللغوية، وتكوين اللغة المشتركة ما يلي:

1\_ الدين: عامل مهم في إيجاد اللغة المشتركة، كالاجتماعات الدينية، المسابقات الدينية، الاجتماع في الحج، صلاة الجماعة والعيدين في المساجد، الندوات الدينية،...الخ.

2\_ الأدب: كان من العوامل المهمة في نشر اللغة المشتركة، نشر الإنتاج الأدبي شعرا ونثرا بلغة يفهمها الجميع.

3\_ الخدمة العسكرية والحرب: لاجتماع الجنود في الجيش دور مهم في إيجاد ونشر اللغة المشتركة، فإصدار الأوامر للجنود تتم بلغة مشتركة من أجل أن تُفهم وتُطبَّق.

4\_ الإذاعة والتلفزيون: فهي من وسائل الإعلام المهمة، فبها يتم نشر اللغة المشتركة.

5\_ الصحافة: تُكتب باللغة المشتركة التي يفهمها الجميع.

6\_ المعارض والأسواق: تكثر فيها الاجتماعات، مما يقتضي استعمال لغة يفهمها الجميع.

7\_ المدن الكبرى: تُستعمل فيها اللغة المشتركة( لأنها مزيج وخليط).

8\_ الوحدة السياسية: تستلزم لغة مشتركة ( بين الحكومة والشعب).

9\_ الجامعات والمدارس: فهي خليط من الأفراد، فهم يتعلمون ويتفاهمون باللغة المشتركة.

10\_ الزواج المختلط: استعمال لغة مشتركة مفهومة من الطرفين.

11\_ العمل في دواوين الحكومة والمصانع: يستدعي استعمال لغة مشتركة تُفهم من طرف الجميع.

**المحاضرة الخامسة: بين القراءات واللهجات.**

يعد الرسول(ص) باعتباره متلقي الوحي، أول قارئ للقرآن وكان(ص) يعود إلى جبريل يدارسه القرآن ويعرضه عليه كل عام مرة.

وعلى هذا المنهج من توثيق النص – خلال التلقي والعرض- سار رسول الله(ص) مع صحابته يقرأ عليهم ويقرأون عليه.

وقال ابن مسعود، قال لي النبي(ص) اقرأ علي، قلت يارسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال نعم.

ولكن مع هذا المنهج الدقيق في توثيق النص اختلف الصحابة في قراءة القرآن، وأقر الرسول(ص) اختلافهم، وكان الحديث الذي يبلغ مرتبة التواتر" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منها"

**القرآن الكريم**" هو اللفظ العربي المنزل على محمد(ص) المنقول إلينا بالتواتر"

ومنه فإن العناصر القرآنية أربعة: 1- كونه لفظا. 2- كونه عربيا.3- كونه منزلا على سيدنا محمد(ص).4- نقله إلينا بالتواتر.

**القراءات القرآنية:** وهي الوجوه المختلفة التي سمح النبي(ص) بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية. يقول الجزري في كتابه النشر:" فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها. حيث أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال(ص) أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف"

**والقراءات السبع:** هي" القراءات التي ضُبط بمقتضاها المصحف الشريف بالشكل وعلامات الوقف وكل العلامات التي تضبط القراءة الصحيحة"

**القراءات السبع:** هي قراءة الأئمة المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، وهم: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني. عبد الله بن كثير المكي. أبو عمرو بن العلاء البصري. عبد الله بن عامر الشامي. عاصم بن أبي النجود البصري. حمزة بن حبيب الزيات الكوفي. علي بن حمزة الكسائي الكوفي.

أما علماء القراءات فقد التزموا منهجا سديدا في ضبط القراءة واشترطوا لصحة القراءة شروطا ثلاثة هي:

1 - أن يصح سندها إلى الرسول(ص) بالتواتر.

2 - أن توافق رسم المصحف العثماني المجمع عليه.

3- أن توافق وجها من وجوه العربية.

وقد صرح القراء والنحاة بأن القراءة سنة متبعة، وأنها لا تخضع لغير السماع الصحيح، أما القراءة الشاذة عندهم فهي ما تخلف أحد شروطها الثلاثة.

فالنبي(ص)" بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا..فلو كُلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع"

فالهذلي يقرأ: عتى حين يريد حتى. والقرشي لا يهمز. والآخر يقرأ(عليهم- عليهمو)، (منهم- منهمو)....الخ.

أما ما اشتملت عليها القراءات القرآنية، من صفات صوتية فيمكن إرجاعها إلى بعض اللهجات العربية. وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل، لأنها الصفات التي شاعت في معظم قبائل العرب، والتي تأصلت في لهجاتهم، فاتخذ القراء منها نماذجهم في فن القراءات.

"ولم تشتمل القراءات القرآنية على كل الصفات الصوتية التي رويت لنا عن اللهجات العربية، لأن بعض تلك الصفات لم تكن من الشيوع بين القبائل ما استحق معه، في رأي القراء، أن يقرأ به، أو بعبارة أخرى ما استحقت معه أن تذكر بين القراءات القرآنية المشهورة"

وما روته القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة ليس إلا المشهور منها، الكثير الشيوع الذي تأصل في النطق.

والصفات الصوتية التي اشتملت عليها القراءات والتي ترجع إلى اختلاف اللهجات العربية هي: الفتح والإمالة، الإدغام، الهمز.

1. **الفتح والإمالة:**

" الفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين، سواء كانا قصيرين أو طويلين. وأصوات الين القصيرة في الاصطلاح الحديث هي ماكان يسميه القدماء بالحركات، أما أصوات اللين الطويلة فهي ماكان يسمونه بألف المد وياء المد وواو المد.ولافرق بين القصيرة والطويلة إلا في الكمية. فلا فرق أن تُمال الفتحة أو تمال ألف المد، لأن العملية العضوية في الحالتين واحدة".

أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز، وعلى أن قبائل نجد قد عرف عنهم الإمالة في كلامهم. ويظهر أن القبائل العربية قبل الإسلام وبعده قد انقسمت إلى شعبتين: الشعبة الأولى تؤثر الفتح والشعبة الأخرى قد شاعت فيها الإمالة.

ويمكن بصفة عامة أنة ننسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال: قريش وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة. وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها، وأشهرها: تميم، أسد، طيء، بكر بن وائل، عبد القيس، تغلب.

وأشهر من روي عنهم الإمالة من القراء العشرة، هم:

حمزة وكان إمام القراء في الكوفة.

الكسائي وورث إمامة القراءات بالكوفة بعد حمزة.

خلف بالكوفة أيضا.

فأئمة القراءة الذين اشتهر عنهم الإمالة كوفيون، أي تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق، أو تعودت النزوح إليه، وهي قبائل قريبة مساكنها من العراق، وعرفت لهجاتها الإمالة.

والصراع العلمي الذي كان بين الكوفة والبصرة هو الذي دعا إلى هذه المغايرة، وإلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع، حتى لا تشبه الكوفة في إمالتها

أما قراءة البيئة الحجازية أمثال ابن كثير المكي ونافع وأبي جعفر المدنيين، فلا تعرف قراءاتهم الإمالة؛ أي أنهم تبعوا ما اشتهر عن لهجات بيئتهم الحجازية من الميل إلى الفتح.

الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافا في وضع اللسان مع كل منهما، حين النطق بهذين الصوتين. واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح.

والإمالة أنواع إلا أن أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر وهذا النوع هو المراد بالإمالة في كتب القراءات واللغة.

**2 - الإدغام:** هو تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور.

ويظهر أن أبا عمرو بن العلاء كان لا يلتزم في قراءته النطق بالحركات الإعرابية أو الحركات الواقعة على أواخر تلك الكلمات، مما يترتب عليه التقاء الحرف الأخير من الكلمة السابقة بالحرف الأول من الكلمة اللاحقة. فإذا تشابه الحرفان أو تقاربا في الصفة أدى هذا إلى تأثر أحدهما بالآخر. وما يستأنس به للدلالة على طريقة أبي عمرو ما روي عنه من قراءات كثيرة سقطت منها الحركات الأخيرة للكلمات مثل: "إن الله يأمرْكم أن تذبحوا بقرة".

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، ظاهرة صوتية تحدث كثيرا في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات، ومزجها بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به.

ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفي القبائل الرحل التي لاتكاد تستقر على حال. فإذا تذكرنا أن البيئة العراقية قد نزحت إليها قبائل أقرب إلى البداوة ممن عاشوا في البيئة الحجازية، أمكننا أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعا في لهجات القبائل النازحة إلى العراق. أما البيئة الحجازية، فقد كانت بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيا، فيها يميل الناس إلى التأني في النطق، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها.

نحن إذا نتوقع أن تروى لنا لهجات العراق مشوبة بأمثلة كثيرة لظاهرة الإدغام وتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض. أما في البيئة الحجازية فنتوقع نسبة قليلة جدا من تلك الأمثلة الإدغامية، فهل ظهر أثر هذه الحقيقة الصوتية في قراءات العراق وقراءات الحجاز؟

إذا استعرضنا آراء القراء في إدغام الأمثلة القرآنية أو إظهارها وجدناهم طائفتين:

1 - منهم من يؤثر الإدغام وهم: أبو عمرو والكسائي وحمزة وابن عامر وخلف، وإن اختلفت النسبة بينهم.

2 - أما الذين يؤثرون الإظهار فهم: ابن كثير ونافع وأبو جعفر وعاصم ويعقوب، بنسب مختلفة أيضا.

والقبائل التي عُرفت بالإدغام هي: تميم، طيء، أسد، بكر بن وائل، تغلب، عبد القيس...

أما القبائل التي آثرت الإظهار هي: قريش، ثقيف، كنانة، هذيل...

روي أن تميم تقول في فزت فزد(قلبت التاء دالا)

تميم تقول: لم يحلّ، الحجازيون يقولون: لم يحلل.

وقد جاء القرآن الكريم غالبا بلهجة الحجازيين نحو: إن تمسسكم حسنة، من يحلل عليه غضبي، واغضض من صوتك، لا تمنن تستكثر، وما جاء على لهجة تميم: ومن يرتدّ، ومن يشاقّ الله، قراءة الصقر الزقر.

**3 - الهمز:**

تكاد تُجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد.

لهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق، فليس غريبا أن يتخلص منها أيضا معظم الحجازيين(...)فليست القوانين التي تخضع لها اللهجات كالقوانين الطبيعية في الكون، تلتزم حالة واحدة لاشذوذ فيها، بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها.

يعد تحقيق الهمز من أبرز الأمور التي اقتبستها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية، فاللغة النموذجية الأدبية وإن اتخذت معظم صفاتها من البيئة الحجازية قد تضمنت أيضا بعض الصفات التي تنتمي لبيئة أخرى، ومن بينها تحقيق الهمز، ويعتزون بتحقيقه في نطقهم.

والحجازيون وإن كانوا في لهجات الخطاب يسهلون الهمز، فقد التزموا تحقيقها في الأساليب الأدبية من شعر أو خطابة.

أما كيف تخلصت لهجات الحجاز من الهمزة، فيتضح مما روي عن قراءة أبي جعفر ونافع التي يمكن أن تلخص فيما يلي:

أ - إذا سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها قُلبت حرف مد مناسب لتلك الحركة.

مثل: يُؤمنون- يومنون.

بئس- بيس.

فأذنوا- فاذنوا.

ب - الهمزة المتحركة وقبلها متحرك لها الأحوال الآتية:

1 - أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضم، ويغلب في هذه الحالة أن تبدل الهمزة واوا.

مثل: يُؤاخذ- يواخذ.

الفؤاد- الفواد.

هزؤا- هزوا.

 2 - أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور، تبدّل الهمزة ياء.

مثل: رئاء الناس- رياء الناس.

خاسئا- خاسيا

3 - أن تكون الهمزة مضمومة وقبلها كسر وبعدها واو؛ حينئذ تحذف الهمزة ويضم ما قبلها ليناسب الواو.

مثل: مستهزئون قُرئت مستهزون.

4 - أن تكون مضمومة وقبلها فتح، وحينئذ تحذف الهمزة.

مثل: ولا يطؤون قُرئت ولا يطون.

5 - أن تكون مكسورة بعد كسر؛ حينئذ تحذف الهمزة.

مثل: متكئين قُرئت مُتكين.

6 - أن تكون الهمزة مفتوحة بعد فتح؛ وحينئذ تسهل الهمزة بين بين.

مثل: أرأيتكم.

ج - الهمزة المتحركة وسكن ما قبلها، تنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وتحذف الهمزة.

مثل: والأخرى قُرئت ولخرى.